موقف الملك فيصل الأول من القضية الكردية في العراق

أ. د. كمال مظهر

مقدمة عامة:

ألقي البحث لأول مرة في "مؤسسة عبدالحميد شومان" بالعاصمة الأردنية عمان في عز أيام النظام السابق، كما القي بصورة موسعة للمرة الثانية عندما عقد في أربيل مؤتمر علمي باسم "المنتدي العراقي الياباني" من يوم الثامن عشر حتي يوم الثالث و العشرين من شهر أيلول سنة2010 في كلية الآداب بجامعة صلاح‌الدين بعنوان "إتجاهات الكتابة التأريخية في الدراسات اليابانية و العراقية" و قد حضر المنتدي، الذي عقد علي حساب الحكومة اليابانية، عدد من المؤرخين اليابانيين فضلا عن عدد كبيرا جدا من المؤرخين العراقيين الذين مثلوا مختلف الجامعات العراقية فضلا عن جامعات اقليم كردستان، و قد القيت بحثي يوم الثلاثاء الموافق لواحد و العشرين من شهر أيلول سنة2010 و كان رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور خليل ابراهيم صالح الذي سبق لي أن درسته في مرحلتي الماجستير و الدكتوراه عندما كنت استاذا بقسم التأريخ في كلية الآداب – جامعة بغداد و كانت الاخت إنتصار عيدان الفرطوسي مقررة اللجنة التي ترجمت خلاصة المحاضرات التي القيت في الجلسة المذكورة الي اللغة الانجليزية. و من المفيد أن اشير بالمناسبة الي إن عددا كبيرا من اساتذة التأريخ العرب حضروا المنتدي من أمثال الدكاترة مرتضي النقيب الرئيس السابق لقسم التأريخ في كلية الآداب – جامعة بغداد و صادق السوداني و اسامة عبدالرحمن نعمان الدوري و محمود القيسي رئيس قسم التأريخ حاليا بكلية الآداب جامعة بغداد و الذي سبق له أن زار اليابان و له عدد مؤلفات عن تأريخ اليابان باللغتين العربية و الانجليزية فضلا عن الأستاذ الدكتور فليح الركابي عميد كلية الآداب بجامعة بغداد و غيرهم خلفية تأريخية.

تمتعت الأسرة الشريفية بمكانة خاصة بين الكرد بدوافع دينية، و بدأت نظرتهم الي أقطابها تتخذ طابعا سياسيا بالتدريج منذ أواخر العهد العثماني، مما نجم عن سياسة الاتحاديين الذين حالوا دون نيل عدد من القوميات غير التركية داخل الأمبراطورية العثمانية لحقوقهم. تشير الوثائق الروسية الي رسائل بعثها الزعيم الكردي المعروف الشيخ محمود "الي الشريف حسين و أولاده" بعد قيام الثورة العربية في الحجاز سنة 1916، و الي إن واحدة من تلك الرسائل وقعت بيد المسؤولين العثمانيين، مما أثار حفيظتهم، فتمادوا في حبك الدسائس ضد الشيخ بقصد إضعاف نفوذه بين بني جلدته، و دبروا نهب داره في مسقط رأسه مدينة السليمانية(1). و قبل ذكل بمدة ظهرت بوادر نوعٍ من التفاعل العفوي بين حركات المقاومة التي أداها الطرفان في السياق نفسه. فعندما تأزمت الأوضاع في العام1910 في منطقة بدليس الكردية و ما والاها اراد الوالي اللجوء الي إستخدام القوة لولا جاءته تعليمات صريحة من إستانبول تطلب منه عدم إثارة الكرد "حتي لا تظهر صعوبات جديدة أمام الحكومة في وقت لزم عليها بذل جهود كبيرة لقمع حركة لعرب التحررية في اليمن و سوريا و فيما وراء الأردن"(2).

أولت أول جريدة كردية صدرت في بغداد في الأول من كانون الثاني سنة1918 باسم "تێگەیشتنی راستي"(فهم الحقيقة) هذا الموضوع إهتماما خاصا، فإنها تحدثت منذ البداية عن نشاطات الشريف حسين ضد العثمانيين و إنتصارات قوات الأمير فيصل في ميادين فلسطين و سوريا أكثر من أي حدث آخر من أحداث الحرب العالمية الأولي في تلك الحقبة(3) و كانت تكرس أحيانا إفتتاحية عدد بكاملها لبحث إنتصارات قوات الأمير فيصل في ميادين القتال في بلد الشام(4).

كانت جريدة "تێگەیشتنی راستي" تريد أن يحذو الكرد حذو العرب الذين "بدأوا يتداركون وضعهم منذ سنوات تحت ضغط الإتحاديين" و أوشكوا أن يبلغوا مأربهم "بالتضحية، فأقاموا حكومة عربية في أرض الحجاز الطاهرة، باعثين بها إسم قحطان و قريش" و هي تستظل "براية رسول الله" و بفضلها "أصبحت الكعبة الشريفة بيد حفيد النبي حسين الثاني" الذي أصبح "اليوم ملكا معظما للعرب و بادشاها شرعيا للمسلمين" فأعلن الجهاد "الذي قوبل من المسليمن بحماس" و بدافع منه "إنفصل نجله الطاهر عن العثمانيين" لأن جميع توسلاته بهم "للرفق بالنساء و الاطفال" لم تجد نفعا(5).

بعد إنتهاء الحرب العالمية الاولي و إنحسار ظل العثمانيين عن الجزء الجنوبي من كردستان، و بعد إختيار الأمير فيصل ملكا للعراق بصورة خاصة إتخذت صورة العلاقات هذه بعدا جديدا بحكم الواقع.

موقف كرد العراق من ترشيح الأمير فيصل للعرش العراقي:

عقد وزير المستعمرات البريطاني الجديد ونستن تشرشل مؤتمرا خاصا في القاهرة في شهر آذار سنة1921 حضره المسؤولون البريطانيون في أقطار الشرق الأوسط، بما في ذلك العراق الذي طرح موضوع مستقبل حكمه علي بساط البحث أمام المؤتمر، فتقرر

إقامة نظام ملكي فيه يعهد عرشه الي الأمير فيصل بوصفه "أفضل من يمكن له أن يحكم بلاد مابين النهرين" علي أن يتم إختياره من الشعب(6).

علي هذا الأساس وصل الأمير فيصل الي العراق في الثالث و العشرين من شهر حزيران سنة1921 و بوشر باتخاذ الإجراءات الضرورية لبيعته. و منذ تلك اللحظة إصطدم فيصل الأول بالقضية الكردية بصورة مباشرة، و كما يقول المؤرخ المعروف عبدالرزاق الحسني في الوقت الذي "كانت البلاد تستعد لوضع حد نهائي لشكل الحكومة المنوي إقامتها في العراق، كانت هناك حركة في الشمال يقوم بها البعض من زعماء الأكراد الذين كانوا يتمسكون بحق تقرير المصير للشعوب التي سلخت من جسم الإمبراطورية العثمانية، فكانت هذه الحركة سببا أدي الي تأخير أمر البت في قضية تتويج الأمير فيصل لعرش العراق بضعة أيام" (7). و حلا للإشكال إتخذ مجلس الوزراء يوم الحادي عشر من شهر تموز قرارا يقضي مبايعة الأمير فيصل ملكا دستوريا علي العراق فورا، و جاءت صياغة الفقرة الثانية من القرار علي النحو الآتي:

"ثانيا – المسألة الكردية: مادامت الحكومة البريطانية(بوصفها الدولة المنتدبة) تفسح للمناطق الكردية مجالا للإشتراك أو عدمه في الإنتخابات للمجلس التأسيسي بحسب منطوق معاهدة سيڤر(8) يري مجلس الوزراء أيضا أن لتلك المناطق الحرية التامة للإشتراك أو عدمه بحسب المعاهدة المذكورة، و ألا يعتبر إشتراك الأكراد أو عدمه حجة عليهم في المستقبل، و الحكومة العراقية تود إشتراك المناطق الكرية معها، و ترغب في عدم إنفصالها عن

الملك غازى

جسم المملكة العراقية"(9).

تحول هذا النص الي أساس للتعامل مع موقف المنطقة الكردية من الإستفتاء الذي جري في آب سنة1921 بخصوص ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق، فلم تشترك مدينة السليمانية و توابعها في الإستفتاء أصلا فيلا صوتت مدينة كركوك و توابعها ضد الأمير فيصل، أما الكرد في أربيل فقد صوتوا لصالح فيصل بشرط ضمان حقوقهم القومية، بل إن كرد أربيل أعلنوا صراحة في مضاط التصويت أنهم يتراجعون عن قرارهم "إذا ما ظهرت الظروف الواردة في المادة64 من معاهدة سيڤر" (10).

تمخض موقف الكرد هذا عن الآمال الكبيرة التي علقوها علي مواد معاهدة سيڤر أكثر من أي شئ آخر، و لم نتطو علي أي شكل من أشكال الاعتراضي علي شخص الأمير فيصل و سجاياه التي كانت موضع تقدير كل الكرد المعروفين ممن إحتكوا به بصورة مباشرة بعد وصوله الي بغداد، و من المفيد أن نشير هنا الي انه حين أثارت بعض الأوساط فكرة تطبيق مواد معاهدة سيڤر بحق كردستان علي إثر الإنتفاضة الواسعة التي إنفجرت في كردستان تركيا في العام1925 و ما أتبعها من حوادث دامية فان "صاحب الجلالة الملك علي، ملك الحجاز السابق" أصبح هو "المرشيح لمملكة كردستان" التي دارت في الدوائر الرسمية إشاعة الإزماع علي إعلانها كما نشرت ذلك صحيفة "الفيحاء" الدمشقية (11).

لايمكن التكهن بمدي تأثر الملك فيصل الأول من موقف الكرد إزاء بيعته، و لكن لم يبدر منه طوال حياته ما يؤشر تأثره في أي مناسبة لا تصريحا و لا تلميحا. و لقد إشتركت وفود كردية في حفل التتويج يوم الثالث و العشرين من شهر آب سنة1921 فكان "من المدهش أن يري المرء العراق باجمعه من

الشمال الي الجنوب مجتمعا في هذا الحفل، و هي أول مرة يقع فيها من هذا التأريخ" علي حد تعبير المس بيل (12). و لقد دعا الملك فيصل أعضاء الوفود الكردية الي تناول الشاي معه يوم السابع و العشرين من شهر آب سنة1921، ليتحول ذلك الي بداية لتقليد تمسك به الملك فيصل الأول طوال حكمه للعراق بإقامة علاقات مباشرة مع عدد غير قليل من زعماء الكرد البارزين الذين طالما إستقبلهم في البلاط الملكي أو راسلهم، منهم الشيخ محمود و الشيخ علاءالدين النقشبندي و الملا محمد جلي‌زادة والد المرحوم مسعود محمد و الملا أفندي و غيرهم، و قد حل ضيفا علي الأخير منهم أثناء زيارته الي مدينة أربيل فيما بعد، و لايمكن فصل هذا و ذاك عن مجمل سياسة الملك فيصل الأول تجاه قضية الكردية.

أهم مقومات سياسة الملك فيصل الأول تجاه القضية الكردية في العراق:

بدءا نؤكد ان الملك فيصل الأول كان الأفضل بين الفئة الحاكمة من حيث تعامله مع الكرد و قضيتهم القومية في العراق طوال العهد الملكي و يكمن سبب ذلك في نقطتين جوهريتين، ترتبط الأولي منهما بحقيقة كون الملك فيصل الأول أكثر واقعية و أكثر إنفتاحا من غيره في نظرته الي القومية الكرية كما هو الحال مع جميع أبنا الأقليات و الطوائف العراقية، ففي غضون الشهر الذي سبق تتويجه القي تسع خطب، خص الأقليات في بغداد(الكلدان و الأرمن و الأرثدوكس و اليهود و الإيرانيين) بأربع منهما(13)، و قد خاطبهم باللغة التي كان من شأنها أن تشد قلوبهم اليه و إلي العراق. فللأرمن مثلا "موقع ممتاز" في أوروبا و

الملك الفيصل الثاني

أميركا "هو نتيجة عملهم الصادق، فأصبحوا بذلك عضوا بارزا في المجتمع الغربي، و أود أن يكونوا كذلك في هذه البلاد أيضا" كما ورد في نص خطابه في كنيسة الأرمن الأرثدوكس ببغداد يوم الأول من شهر آب سنة1931 (14).

أما النقطة الثانية فترتبط بموقف البريطانيين الذين كانوا يرغبون في أن يتبني الملك فيصل الأول سياسة واقعية مرنة تجاه الكرد و كردستان ذلك لأنهم كانوا يعرفون إن مصير ولاية الموصل، الذي أثير لتوه من قوة ثورية طموحة متمثلة بتركيا الكمالية، إنما يعتمد علي موقف الكرد الي حد بعيد، كما إن الكرد، علي العكس تماما مما ذهب اليه معظم المؤلفين العراقيين علي أساس تحليل عاطفي في غاية التبسيط، كانوا يرغبون في إيجاد عراق مستقر يهئ لهم ظروفا أمثل لاستغلال ثرواته، و لاسيما نفطه، الأمر الذي كان يعتمد بدوره علي موقف الكرد كثيرا. و من أجل توضيح هذه النقطة المهمة و المشوهة الي حدٍ كبير في تأريخ العراق المعاصر المدون في الداخل، نتوقف هنا عند بعض النماذج المعبرة القليلة بهذا الصدد. ففي لقائه بالملك فيصل الأول يوم الثامن و العشرين من شهر شباط سنة1923 تباحث معه السير هينري دوبس المندوب السامي البريطاني حول أفضل السبل التي من شأنها أن تساعد علي كسب الكرد و زعمائهم الي جانب الحكومة العراقية، فعرض عليه جملة مقترحات من بينها إنه طلب من الملك فيصل أن يشجع "صاحب السمو الأمير زيد شقيق الملك فيصل الأول علي التقرب من زعماء الكرد... و أن يستعمل نفوذ العائلة الملوكية في سبيل تأمين إنضمامهم الي الحكومة العراقية و تعلقهم بها"(15).

و بعد مرور أربعة أيام فقط علي هذا اللقاء وجه السير هينري دوبس مذكرة الي الملك فيصل الأول حول الموضوع نفسه، قال له فيها "و إذا قر الرأي علي تحبيذ خطة العمل للأمير زيد ليعمل بها فلابد إن جلالتكم ستنظرون في أمر وجوب قيامه بالعمل بالأستشارة الي أقصي ما يمكن مع متصرفي الموصل و أربيل..."(16) و إنتقل الأمير زيد فعلا الي الموصل و أقام إتصالا مباشرا بعدد من الزعماء الكرد، و يبدو إنه حقق قدرا من النجاح لأن المس بيل تقول في رسالتها المؤرخة في الأول من شهر آذار سنة1923 "أعتقد إننا لو تركنا زيدا وحده فإنه بوسعه أن يتوصل الي تسوية مشجعة مع الكرد الشماليين"(17).

و في مذكرة سرية اخري له حول الموضوع نفسه توجه السير هينري دوبس الي الملك فيصل الأول قائلا له إن "في أستطاعة جلالتكم القيام بدور نشيط للغاية في سبيل إستمالة قلوب الأكراد... كما فعلت ذلك صاحبة الجلالة الملكة ڤيكتوريا التي كانت العامل الرئيسي في توطيد دعائم الإتحاد بين الشعبين الانجليزي و الاسكتلندي... و قد تكون جلالتكم عالمين بالغيرة التي كانت الملكة ڤيكتوريا تبديها في كل مناسبة نحو الشعب الاسكتلندي، و كيف كانت تصرف قسما عظيما من وقتها في اسكتلندا، و كيف كان زوجها و أولادها يرتدون كثيرا الثياب الاسكتلندية، و قد حافظ أخلافها علي هذه التقاليد، و كان من نتيجة ذلك ان الاسكتلنديين الآن هم تقريبا أشد أنصار العرش البريطاني و الإمبراطورية البريطانية"(18).

بعد ذلك طرح هينري دوبس علي الملك فيصل عددا كبيرا من المقترحات، منها "أن تعلن جلالتكم أن النجمتين اللتين في العلم العراقي، بقطع النظر عن أصلهما التأريخي، تعتبران الآن رسميا أنهما ترمزان الي إتحاد الشعبين الشقيقين العربي و الكردي" و "أن توجه جلالتكم إهتماما خاصا الي الضباط الأكراد الذين في خدمة الجيش العراقي، و أن تنظر جلالتكم في تشكيل ثلة حرس ملكي خاص صغيرة من الأكراد ترتدي الثياب الوطنية الكردية للتناوب و الحراسة في البلاط، و أن تتوسل جلالتكم بوسيلة ما لأجل إظهار العطف نحو الشبان الأكراد العديدين الذين يدامون في (دار المعلمين أو المدرسة الثانوية ببغداد) و أن تتشبث جلالتكم بتعلم اللغة الكردية و أن تقضي جلالتكم عادة أشد أشهر السنة حرارة في إحدي البلدات الكردية الجبلية كشقلاوه مثلا"(19).

إختتم السير هينري دوبس مذكرته التي تقع في ست صفحات من الحجم الكبير بالقول:

"ثم أملي بأن تري جلالتكم من المناسب إستعمال تلك المآثر السامية، ماثر العطف و الجود و النجابة التي إشتهرتم بها في سبيل تأمين ولاء هذا الشعب، و القيام بخدمة فائقة للدولة العراقية"(20).

يعتقد الباحث جازما أن رئيس النظام السابق صدام حسين كان مطلعا بما في الكفاية علي مضامين رسائل السير هينري دوبس الي الملك فيصل الأول فاتخذ سلسلة من الإجراءات لتقليد الملكة ڤيكتوريا حسب مواصفات دوبس، فإرتدي الملابس الكردية و أعلن إنه ينوي جعل مدينة أربيل العاصمة الثانية للبلاد و أن يقضي فيها أشد أشهر الحر كما صدرت التعليمات الي الاستاذ الدكتور معروف خزنه‌دار لألقاء سلسلة من دروس اللغة الكردية عليه و لا علم لي لماذا تخلي صدام حسين في الأخير عن هذه الفكرة الإيجابية!.

في الواقع لم يكن الملك فيصل الأول مستعدا أن يذهب في تعامله مع الكرد الي المدي الذي كان يقترح عليه السير هينري دوبس، خصوصا و إن معظم كبار المسؤولين و النواب الساسة العراقيين الآخرين، و بينهم عدد غير قليل من أدعياء القومية، قد تحولوا الي إتحاديين جدد، فلم يختلف موقفهم من الكرد في شئ عن موقف هؤلاء من العرب قبيل الحرب العالمية الأولي و في سنواتها، منهم الشاعر الشهير، الكردي الأصل معروف الرصافي و الشخصية

الوطنيـــة نائـــب رئـــيس "حـــزب الأحرار" لاحقا سعد صالح، و ثابت عبدالنور المعارض المتطرف الذي التحـق بـالأمير فيصـل في سـوريا، و الأرستقراطي المتتور احمد الجليلي و المـلاك الليبرالـي المؤيـد لثـورة العشرين زامل المناع و غيرهم ممن وقفـوا داخـل أروقـة مجلـس النـواب مرارا ضد منح الكرد أبسط حقوقهم القوميـة بمـا في ذلـك بعـض الحقـوق الرمزيـة مثـل التعـبير عـن الوجـود الكـردي في العـراق في شـعار الدولـة الرسمـي(21) و مـا أشـبه الليلـة بالبارحة!.

مـع ذلـك خطـا الملـك فيصـل الأول خطوات مهمة في مضمار التعامل مع القضية الكردية في العراق، فأنه أول حاكم في العراق، كما في المنطقة، فكر و خطط من أجل منح الكرد حكما ذاتيـا لايفضـي الـي الأنفصـال عـن العـراق، فلقـد أخـبر حـاكم كركـوك السياسـي أدمونـدس صـراحة بأنـه مقتنع بضرورة إقامة حكومة كردية ذات حكم ذاتي داخل حدود العراق طالما أن ذلك لا يـؤدي الـي إنفصـال سياسـي أو إقتصـادي للمقاطعـات الكردية (22).

وردت في تقريـر رسمـي بريطـاني الملاحظة الدقيقة الأتية بخصوص الموضـوع نفسـه: "إن موقـف الملـك فيصل مفيد، إنه شخصيا قومي و ذو نظرة بعيدة جدا، ليس مستعدا أن يحترم إحساس الآخرين و يعترف بـه حسب، بل إنه مستعد أيضا أن يمنح المناطق الكردية داخل العراق درجة تامة من الحكم الذاتي، و علي الكرد أنفسهم أن يقرروا بأي اسلوب يمارسونه"(23).

و فعلا أصدرت الحكومتان العراقية و البريطانيـة في الحـادي و العشـرين مـن كـانون الأول سـنة1922 بيانـا رسميا أودع لدي عصبة الأمم ورد فيه إعتراف الحكومتين "بحق الكرد القـاطنين ضـمن حـدود العـراق في تأسيس حكومة كردية داخل هذه الحـدود" و عبرتـا عـن أملـهما في أن "تتفـق مختلـف العناصـر الكرديـة بأسرع ما يمكن علي الشكل الذي يـــودون أن تتخـــذه تلـــك الحكومة"(24).

و بالرغم من إن ذلك لم يتحقق علي يـد الملـك فيصـل الأول لأسـباب مختلفة يتحمل الكرد أنفسهم جانبا من وزرها، إلا إن كرد العراق نالوا في عهده العديـد مـن حقـوقهم بموجـب إجـراءات دسـتورية و قانونيـة، مـن أهمها الإعتراف بالكردية لغة رسمية للتعلـيم و الإدارة و المرافعـة أمـام القضاء في جميع المناطق الكردية، و ذلـك بموجـب "قـانون اللغـات المحلية" الذي صادق البرلمان عليه في شهر آيار سنة1931 و وضع حيز التنفيذ أعتبارا من شهر حزيران ذلك العـام، و منهمـا أيضـا تأسـيس مديرية خاصة للإشراف علي التعليم في المنـاطق الكرديـة كـان مقرهـا في مدينة كركوك.

و ممـا لـه مغـزاه أن الكـرد أدوا دورا واضـحا في وضـع و ترسـيخ أسـس الدولة العراقية الحديثة في عهد الملك فيصـل الأول، الأمـر الـذي تجسـد في مجموعـة كـبيرة مـن الظـواهر و الأعمال، نقتصر علي ذكر عدد قليل منها أيضا من أجل التوضيح فقط. فمنـذ عهـد الملـك فيصـل الأول بـرز عـدد كـبير مـن الضـباط الكـرد في صفوف الجيش العراقي، منهم بكر صدقي الذي إلتحق بالجيش العراقي برتبـة رئـيس و خـدم في شـعبة الحركـات و حاضـر في المدرسـة العسكرية و رقي الي رتبة اللواء في الأيام الأخيرة من عهد الملك فيصل الأول، و سـليمان فتـاح باشـا الـذي أصبح مرافقا لأول وزير دفاع عراقي و معاونا لأمر المدرسة العسكرية في العـام1925، و أمـين زكـي سـليمان الذي عين آمرا للإنضباط العسكري ببغـداد سـنة1924 و آمـرا لكتيبـة المشاة الرابعة سنة1930، و حسين فوزي الذي عمل في عهد الملك فيصل الأول في دائرة الحركات في الجيش و آمـرا للمدفعيـة و آمـرا لمدرسـة الأركـان، و خالـد محمـود الزهـاوي الـذي عـين مرافقـا لشـخص الملـك فيصل الأول بعد عودته الي العراق في العـام1924 ثـم أصـبح آمـرا للمدرسـة العسـكرية في أواسـط العام1930، و الأكاديمي المعروف توفيق وهبي الذي إنضم الي الجيش

العراقي منذ تأسيسه في السادس من كانون الثاني سنة1921 و عين في شعبة الحركات و آمرا لدار التدريب العسكري في العام1923 و مديرا للحركات بوزارة الدفاع في العام1925 و من ثم آمرا للمدرسة العسكرية، و بهاءالدين نوري الذي إنتمي الي الجيش العراقي في نفس الوقت الذي تبوأ فيه الملك فيصل الأول العرش إذ عين معلما في دار التدريب العسكري ثم مدربا أقدم للرشاشات و ضابط ركن في وزارة الدفاع العراقية، و المؤرخ المعروف محمد أمين زكي الذي عين معلما في المدرسة العسكرية في أواسط العام1924 ليصبح آمرا لها في أواخر العام نفسه و إستمر معظم هؤلاء و غيرهم في العمل في صفوف الجيش العراقي بعد وفاة الملك فيصل الأول و قدر للعديد منهم أن يبلغوا رتبة الفريق و أن يشغلوا أرفع المناصب في وزارة الدفاع و المؤسسات العسكرية الاخري طوال العهد الملكي (25).

و مثل الكرد في البرلمان العراقي في عهد الملك فيصل الأول أفضل وجوه كردستان علما و منزلة منهم الملا محمد جلي زاده الذي قدر الملك فيصل الأول علمه و فضله تقديرا خاصا و هو والد المفكر الكبير المرحوم الاستاذ مسعود محمد، و عميد الأسرة الطالبانية في كركوك و توابعا الشيخ حبيب، و عميد الأسرة البابانية جميل بيك مجيد باشا، و إسماعيل الرواندزي حفيد أحد رواد حركة الأستقلال الكردية في العهد العثماني و "الوزير العالم المؤرخ محمد أمين زكي" كما يصفه مير بصري في كتابه "أعلام الكرد"(ص26) و الذي كان أول برلماني عراقي خاطب ناخبيه علي غرار برلمانيي الديمقراطيات الغربية(26) و الحقوقي و عضو محكمة التمييز العراقية و رئيس "نادي الإرتقاء الكردي" في بغداد معروف جياوك، و "خلاصة سلة فكر الكرد"(27) شاعر الطبيعة و الجمال أحمد مختار جاف الذي كان يراسل الملك فيصل الأول شخصيا(28) و محمد الجاف الذي عرف هو و أواده و أحفاده بعواطفهم القومية الجياشة من أمثال الشاعر و الروائي والفنان خسرو الجاف و الاستاذ الجامعي الدكتور حسن الجاف و بخدماتهم الملخصة للكلمة الكردية، و محمد صالح أحد أقرباء شريف باشا خندان الذي حضر مؤتمر الصلح في باريس سنة1919 باسم الكرد.

و بإستثناء حالات نادرة لم تخل وزارة واحدة ألفت في عهد الملك فيصل الأول من عنصر كردي أو أكثر كانوا يمثلون بدورهم أفضل عناصر النخبة الكردية في كل الأحوال، منهم محمد أمين زكي المذكور آنفا، و مرافق السلطان عبدالحميد الثاني، و النائب في العهد العثماني و إبن شيخ الإسلام لدي الباب العالي داود باشا الحيدري، و المحامي جمال بابان صاحب ثالث مجلة في تأريخ الصحافة الكردية عموما و أول مجلة كردية في العراق صدرت بإسم "بانگي كورد"(نداء الكرد) حثت الكرد قبل الحرب العالمية الأولي علي التعليم الذي فتح الطريق أمام الشعب الياباني الصغير لكي يتبوأ موقع الصدارة في آسيا كلها، و جلال بابان أحد مؤسسي "جمعية حرس الإستقلال" التي هيأت الطريق لنشوب ثورة العشرين الوطنية و كان واحدا من الوطنيين الذين نفاهم البريطانيون الي جزيرة هنجام بعد القضاء علي الثورة، و مما يذكر إن إشراك الكرد في كل وزارة عراقية الذي بدأ في عهد الملك فيصل الأول تحول الي تقليد سياسي ثابت في تأريخ الدولة العراقية المعاصرة طوال العهد الملكي، كما في العهد الجمهوري، و من المهم أن نشير الي إن جميع هؤلاء الوزراء و النواب و غيرهم قد تحولوا في عهد الملك فيصل الأول، كما في عهد أخلافه إلي جزء فاعل، و مؤثر داخل النخبة الحاكمة له صوته المسموع و دوره المشهود.

إحتفظ الملك فيصل الأول طوال عهده بعلاقات مباشرة بجميع هؤلاء و بغيرهم و من وجوه الكرد سواء في العاصمة بغداد أم في المنطقة

الكردية نفسها، كما زار الملك فيصل الأول شخصيا المدن الكردية مرارا و في مناسبات مختلفة، و عندما تأزمت الأوضاع في كردستان عشية إبرام المعاهدة العراقية البريطانية الجديدة في العام 1930 كلف الملك فيصل الأول ولي عهده الأمير غازي بزيارة المدن الكردية و أينما حل غازي عرض عليه الكرد مطالبهم و مظالمهم مع التأكيد دوما علي تمسكهم بوحدة العراق. و في مدينة السليمانية التي تمثل أحد أهم معاقل الحركة القومية الكردية منذ نشوئها في العهد العثماني إحتفي الناس "بمقدم سمو ولي العهد" و أبدوا "ترحيبهم المخلص لتقديم مطالبهم الي سموه" و هتفوا بأعلي صوتهم "يحيي ملك العرب و الكرد الملك فيصل" كما ذكر ذلك بالنص مراسل صحيفة "الجهاد" البغدادية الليبرالية في يوم السابع و العشرين من شهر تموز سنة1930، و قد نقلت قيادة القوة الجوية البريطانية العاملة في العراق تفصيلات ما نشرته "الجهاد" بهذا الخصوص الي لندن برقيا(29).

و لاينكر إن مؤسسات التعليم و الصحة و الحياة الثقافية و الفكرية في المنطقة الكردية شهدت قدرا من الإنتعاش و التطور نحو الأفضل في عهد الملك فيصل الأول، ففي غضون المدة التي تزامنت مع عهده تم طبع 75كتابا باللغة الكردية كان نصيب العراق منها 42كتابا، فيما طبعت البقية في سوريا و ايران و تركيا و لاسيما في يريڤان عاصمة جمهورية أرمينيا السوڤيتية، و في الحقبة نفسه صدرت ثلاث عشرة جريدة و مجلة باللغة الكردية لمدد مختلفة بلغ نصيب العراق منها عشرا(31).

لايعني كل ذلك أن الملك فيصل الأول تمكن من تجاوز إفرازات القضية الكردية في عهده الذي شهد محاولات جادة من أطراف متشددة للضغط علي التعليم باللغة الكردية، و كانت المنطقة الكردية تعاني، فضلا عن ذلك من نقصي كبير في عدد المدارس و الكادر التدريسي و أهم مستلزمات الدراسة، و في المقدمة منها الكتب المدرسية، كما كانت تعاني من نقص شديد في ميدان الخدمات الطبية و غيرها من الخدمات العامة الضرورية بحيث أنها كانت تحتل دوما المرتبة الأخيرة و بتفاوت واضح مع المناطق الاخري، بما في ذلك أكثرها تخلفا بحكم طابع البداوة السائدة فيها، الأمر الذي يبدو جليا من المعطيات الإحصائية الرسمية الدقيقة التي تعود الي تلك المرحلة من تأريخ العراق المعاصر، مما تحول الي سبب ثابت لتذمر مشروع.

و لأسباب شتي لامجال للتوقف عندها و تحليلها، لجأت السلطة الحاكمة في عهد الملك فيصل الأول مرارا الي السلاح بقوة بهدف إحتواء القضية الكردية في تقدير غير واقعي منها، ففي تلك السنوات تحديدا إستخدمت الطائرات الحربية البريطانية في قصف القري و بعض المدن الكردية علي نطاق واسع جدا، بحيث حولت المنطقة الي حقل لتجارب تلك الطائرات التي دخلت صناعتها يومذاك مرحلة خطيرة من التطور النوعي لم يسبقها مثيل منذ أن ظهر الطيران العسكري. و من بين العشرات من النماذج و الشواهد المعبرة نكتفي هنا بالتوقف عند عدد من الحقائق الموثقة، منها إستخدام الطائرات الحربية البريطانية لأول مرة في التأريخ قنابل تزن الواحدة منها 220رطلا ضد الكرد العراق في العام1923(32) و الحقيقة الاخري تخص الأرقام المذهلة التي سجلها البريطانيون في وثائقهم الخاصة عن عشرات الألوف من ساعات طيران طائراتهم الحربية فوق المناطق الكردية في بداية ثلاثينيات القرن الماضي وحدها، ففي غضون أيام قليلة في شهر كانون الأول من سنة1930 مثلا حلقت تلك الطائرات لمدة 1496ساعة فوق منطقة كردية صغيرة بحثا عن الثوار(33) و لقد بلغ إستخدام الطائرات الحربية البريطانية ضد الشيخ محمود في تلك الحقبة درجة دفعت مجلة " The Near East and India"(الشرق الأدني و الهند)

اللندنية الي أن تختار له غمزا لقب مدرب القوة الجوية البريطانية(34).

و هنا نشير الي حقيقة اخري موثقة و مودعة لدي عصبة الأمم تقول في اليوم السادس من شهر آيار سنة1924 قصفت مدينة السليمانية من الجو الأمر الذي أجبر حوالي عشرين الف شخصي من سكانها علي ترك المدينة بحيث لم تجد القوات البرية التي دخلتها علي إثر ذلك سوي 700شخصا فقط من سكانها و في غضون الشهرين التاليين عاد الي المدينة نصف سكانها و من ثم عاد النصف الآخر اليها بعد شهرين آخرين(35).

و علي الغرار نفسه إستخدمت صنوف الجيش الاخري ضد الكرد في عهد الملك فيصل و بإشراف مباشر من البريطانيين و لم تقتصر ذلك علي مطاردة الثوار في الريف أو الجبال بل إمتد أحيانا الي داخل المدن الكردية ايضا، فلقد إستخدمت، مثلا، كتيبة عسكرية للقضاء علي المظاهرات الإحتجاجية التي قامت في مدينة سليمانية يوم السادس من شهر أيلول سنة1930 ضد المعاهدة العراقية – البريطانية الجديدة مما أسفر عن قتل 13 و جرح 23شخصا من المدنيين حسب البيان الرسمي الخاص الذي نشرته صحف العاصمة يوم الحادي و العشرين من شهر أيلول سنة1930(36).

التقويم :

في ضوء الحقائق المذكورة أنفا و غيرها يمكن القول بأنه لم تتوفر في عهد الملك فيصل الأول جميع المستلمزات الضرورية لحل عادل للقضية الكردية في العراق، مع ذلك فأن ذلك العهد يعد من أحسن عهود تأريخ العراق الملكي بالنسبة للكرد الذين تحقق لهم في سنواته عدد من مطاليبهم المشروعة، مما ساعد علي توطيد الوحدة الوطنية و تعزيز العلاقات التأريخية بين العرب و الكرد، و يعود جانب مهم من فضل ذلك الي سياسة الملك فيصل الأول و شخصيته دون ريب، لذا فان العاهل الهاشمي الأول في العراق قد ترك في ذاكرة الكرد صورة ايجابية جسدها شاعرهم الوطني المبدع الوزير في حكومة الشيخ محمود الكردية(37) حمدي(1876-1936) في قصيدة عصماء له نظمها في العام1931 بعنوان "صاحب الجلالة الملك فيصل"(38)، كما نقرأ في أحدث دراسة أصدرها "الحزب الديمقراطي الكردستاني" عن الملك فيصل الأول الأتي نصه:

"لقد تحولت القضية الكردية في العراق، و منذ الأيام الأولي لتشكيل الحكومة العراقية الي قضية سياسية ذات أهمية خاصة، فقد بدأ الملك فيصل الذي توج ملكا علي العراق في آب1921، و الحكومة العراقية ينهجان سياسة أكثر مصالحة تجاه القومية الكردية، و حث الملك رعاياه العرب علي إحترام قومية أخوانهم الكرد، و تشجيعهم علي أن يصبحوا عراقيين"(39).

و فعلا كان الكرد في العراق يعرفون إنتماءهم القومي و الديني فقط قبل عهد الملك فيصل الأول، و في حالات نادرة كانت قلة قليلة منهم تحس بإنتماء أبعد من ذلك لم يتجاوز بدوره الإنتماء الي ولاية الموصل أو لباشوية بغداد بدوافع إدارية و تجارية محدودة، فيما لم ينته عهد مؤسس الدولة العراقية الحديثة ألا و تحول الكرد الي جزء متمم لنظام موحد تكاملت أبعاده الإجتماعية و الإقتصادية الي حد مقبول علي الرغم من إن القضية الكردية نفسها ظلت قائمة ينتظر العديد من عقدها الحل في سياق يتوافق مع روح العصر و متطلباته الحضارية. "إن تحقيق ذلك و غيره من مشكلات العراق المعاصر كان يعتمد دون شك علي توفر ساسة يكونوا حكماء مدبرين، و في عين الوقت أقوياء مادة و معني، غير مجلوبين لحسيات أو أغراض شخصية أو طائفية متطرفة، يداومون علي سياسة العدل و الموازنة و القوة معا، علي جانب كبير من الإحترام لتقاليد الأهالي، لاينقادون الي تأثيرات رجعية، أو الي أفكار متطرفة تستوجب رد الفعل" كما ورد نصا في مذكرة خطيرة(40) كتبها الملك فيصل

أول سيارة دخلت العراق

الأول بنفسه في شهر آذار من العام1932، أي قبل وفاته بأقل من عامين و وزعها علي عدد قليل من أبرز الساسة العراقيين في ذلك الحين لتكون بمثابة وصية سياسية قيمة لم يلتزم بها أحد من أخلافه كما ينبغي مما يؤلف سببا واقعيا لإنحلال النظام بعد وفاة مؤسسه يوم الثامن من شهر أيلول سنة1933.

أثار البحث إستحسانا كبيرا لدي الحضور الذين وجهوا أسئلة عدة الي الباحث الذي اكد في أجوبته علي ضرورة الاهتمام بالأخوة العربية الكردية و علي مصالح الوطن المشترك من أجل تجاوز جميع محن العراق الجريح، و قدم للحضور نماذج تأريخية تعبر عن عراقة الشعب الكردي من ذلك، علي سبيل المثال لا الحصر، ان مستشرقا سوڤيتيا معروفا بين علي أساس الدراسة و التمحيص شيوع كلمة كاك(الأخ الكبير) في جميع أجزاء كردستان منذ خمسين الف سنة(أجل منذ خمسين الف سنة) بنفس صياغتها الشائعة اليوم.

الهوامش:

1. M.S.Lazarev, Kurdistan I kurdskaya problema, Moscow, 1964، 340.PP، 449، M.S.Lazarev, Kurdsky vopros 1891-1917، Moscow, 1972, P.349.

م.س.لازاريڤ، كردستان و المشلكة الكردية، موسكو، 1964، ص340-449" م.س.لازاريڤ، القضية الكردية 1891-1917، موسكو، 1972، ص349.

2. Kamal Madhar Ahmad, Kurdistan During The First World War, Translated by Ali Maher Ibrahim ،London, 1994, PP. 71-72.

كمال مظهر أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولي، ترجمة علي ماهر ابراهيم، لندن، 1994، ص71-72.

3. تنظر علي سبيل المثال "تێگەیشتنی راستی"(فهم الحقيقة)، جريدة، بغداد، الأعداد 13 و 16 و 17 و 28 و 52 في 12 و 22 و 23 و شباط و 13مايس و 28تشرين الأول 1918 و غيرها.

4. المصدر نفسه، العدد 48، 30أيلول 1918.

5. المصدر نفسه، الأعداد 3 و 17 و 19، 8كانون الثاني و 23شباط و 5آذار 1918.

6. "Special Report by His on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30 1921"، P. 4 and Appendix 9.

"تقرير عن مؤتمر الشرق الأوسط الذي عقد في القاهرة و اورشليم من 12 حتي 30 آذار سنة1921"، ص4 و الملحق رقم9.

7. عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، الجزء الأول، بغداد، 1988، ص54.

8. معاهدة الصلح التي عقدت في مدينة سيڤر إحدي ضواحي العاصمة باريس بين الحلفاء و الدولة العثمانية في العاشر من شهر آب سنة1920 و كانت المواد 62-64 من المعاهدة تخص القضية الكردية و التي أجازت تأسيس دولة مستقلة في المنطقة الكردية التي كانت تدخل ضمن الأمراطورية العثمانية.

9. مقتبس من: عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 55-56.

10. "Special Report by His

Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland on the Progress of Iraq During the Period 1920–1931", London, 1931, P. 254.

"التقرير الخاص لحكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة لبريطانيا العظمي و شمال ايرلندا عن تقدم العراق خلال المدة 1920–1931"، لندن، 1931، ص254.

11. "الفيحاء"(جريدة)، دمشق، العدد 123، 12رمضان 1344هـ/26آذار 1926.

12. "العراق في رسائل المس بيل"، ترجمه و علق عليه جعفر الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص345.

13. تراجع نصوص خطب الملك فيصل الأول في "فيصل بن الحسين في خطب و أقوال"، بغداد، 1945، ص232–258.

14. المصدر نفسه، ص256.

15. دار الكتب و الوثائق، المركز الوطني لحفظ الوثائق، بغداد،
No. R.O./SS, Residency 4th March 1923, To His Majesty King Faisal.

16. Ibid, P.1.

17. E.Burgone, Bell From Her Personal Papers, Ernest Benn Limited, London, 1961, P. 310.

18. دار الكتب و الوثائق، المركز الوطني لحفظ الوثائق، بغداد،
No. R.O.285, Residency، Baghdad، To His Majesty King Faisal، October 18, 1926, P. 3.

19. Ibid, PP. 3-4.

20. Ibid, P. 6.

21. تنظر علي سبيل المثال: "الحكومة العراقية، محاضر مجلس النواب، الدورة الأنتخابية الثالثة، إجتماع سنة1930"، بغداد، دون تأريخ النشر، ص 137–139، 141–142.

22. مقتبس من: E.Burgone، Op. Cit., P. 306

23. Colonial Office, Report by His Majesty's High Commissioner on the Finance, Administration and Condition of Iraq for Period form first April 1923 to31 th March، 1924Cilonial-4", London, 1924, P. 38.

"الدائرة الكلونيالية، تقرير من قبل اللجنة العليا لصاحب الجلالة عن الاوضاع المالية و الأدارية و العامة للعراق من اليوم الأول من شهر نيسان1923 حتي اليوم الواحد و الثلاثين من شهر آذار سنة1924، دائرة المستعمرات–4"، لندن، 1924، ص 38.

24. Iraq, Report on Iraq Administration, April, 1922, March, 1923", London, 1924, P. 38; "Special Report…, Op.c.t.", p. 256.

"العراق، تقرير عن إدارة العراق من شهر نيسان سنة1922 حتي شهر آذار سنة1923"، لندن، 1924، ص38"

"التقرير الخاص...، المصدر السابق"، ص 256.

25. للتفصيل عن هؤلاء و غيرهم يمكن الرجوع الي: مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، رياض الريس للكتب و النشر، لندن، 1987" مير بصري، أعلام الكرد، رياض الريس للكتب و النشر، لندن – قبرص، 1991

26. وردت الإشارة الي ذلك في التقرير البريطاني عن سير الإدارة في العراق في العام 1928 المرفوع الي عصبة الأمم في العام1929.

27. علاءالدين سجادي، تأريخ الأدب الكردي، الطبعة الثانية، بغداد، 1971، ص544.

28. يحتفظ الباحث بصورة إحدي الرسائل التي بعثها الشاعر الي شخص الملك فيصل الأول، و النص الأصلي للرسالة محفوظ في ملفات البلاط الملكي في دار الكتب و الوثائق ببغداد.

29. Public Record Office, Air, XM/04583, Al-Jihad(Former Al-Bilad), July 27th, 1930.

30. نريمان، ببليوغرافيا للكتب الكردية 1787 الي 1975، باللغة الكردية، من مطبوعات المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1977، ص 19–36.

31. كمال مظهر، تێگەیشتنی راستی و موقعها في الصحافة الكردية، باللغة الكردية، من مطبوعات المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1978، ص 218–222، 233–235.

32. C.J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, Politics and Research in North Eastern Iraq, London, 1957, P. 371.

33. Public Record Office, Colonial Office, 730, 163/88269, Iraq Command, pp. 7-8, Attack on Surdash, No.35.

34. مقتبس من مجلة "رۆشنبیری نوێ"(المثقف الجديد)، بغداد، العدد 136، سنة1995، ص 16–17.

35. Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the Period April 1923 – December 1924", London, 1925, PP. 32-33.

36. ينظر كذلك: عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص71.

37. تأسست في منطقة السليمانية في شهر تشرين الثاني سنة 1922، و قضت عليها القوات البريطانية في شهر آذار سنة 1923.

38. "ديوان أحمد حمدي بيك صاحيبقران"، باللغة الكردية، من منشورات مكتبة گەلاوێژ في السليمانية، بغداد، 1957، ص 121–128.

39. "موقف الأحزاب السياسية العراقية من القضية الكردية"، من منشورات مكتب الدراسات و البحوث المركزي

التابع للحزب الديمقراطي الكردستاني"، أربيل، 1997، ص 8.

40. ينظر نص المذكرة في: عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص 315-321.